✹ سورة قريش

1) اسمها

سورة قريش، ويُقال لإيلاف قريش.

2) أين نزلت؟

سورة مكيَّة، وهذا ظاهر من أسلوبها، وظاهر أيضًا من موضوعها، وهي أيضًا تخاطب قريش الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ، فهي تذكرهم بنعمة الله عليهم التي يجب عليهم أن يشكورها فيوحدوا الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة.

3) عدد آياتها

عدها بعضهم: أربع آيات.

عدَّها بعضهم: خمس آيات بحيث أنه قال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ آية، و﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ آية أخرى.

4) محورها

تبيِّن أنه يجب أن تُقابل نِعَم الله بالشكر. وفي قصار المفصل كثيرًا ما تذكر نعم الله على العباد ويُطلب منه أن يشكرها.

ومثل ذلك في سورة الضحى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فكثير من السور ذكر نعم الله على العبد، وذكر ما يجب على العبد تجاه تلك النعم من الشكر والعبادة وتوحيد الله -عزوجل.

5) مناسبتها لسورة الفيل

مناسبتها لما قبلها ظاهرة جدًّا حتى كان بعض أهل العلم أو بعض السلف يرى أن هذه السورة هي جزء من السورة التي قبلها، فيرون أن سورة قريش والفيل سورة واحدة، وهي كذلك في مصحف أُبيِّ بن كعب ، ولكن مصاحف المسلمين المُجمَع عليها جُعلت فيها هاتان السورتان سورتين منفصلتين، فسورة الفيل ثم سورة قريش، وقد فُصل إحداهما عن الأخرى.

تفسير الآيات

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾

لِإِيلَافِ: تأتي بمعنيين.

الأول: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أي لاعتياد قريش. آلف الشيء أي اعتاده مرَّة بعد أخرى.

الثاني: ﴿لِإِيلَافِ﴾ تأتي لاجتماع وتآلف الناس وتقاربهم واجتماع شأنهم.

فيمكن أن تكون بهذا المعنى، ويمكن أن تكون بهذا المعنى.

➢ بأي شيء تتعلق كلمة ﴿لِإِيلَافِ﴾ لأنها لابد أن تكون متعلقة بشيء؟

❖ القول الأول : من العلماء مَن قال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ متعلقة بما بعدها وهو قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾. وهذا هو أقرب الأقوال

ويكون المعنى: لتعبد قريش ربَّ البيت، لأن الله -سبحانه وتعالى- عوَّدها رحلة الشتاء والصيف، أوجمعها على رحلة الشتاء والصيف التي كانت من أعظم نعم الله عليهم، حيث كانت تؤمِّن لهم تجارتهم وأرزاقهم وأطعمتهم.

❖ القول الثاني: وهو الذي اختاره ابن كثير -رحمه الله- وهو أنها مرتبطة بسورة الفيل، ومن هنا جاء قول مَن قال أنهما سورة واحدة.

فكأنه يقول: فعذب أصحاب الفيل وجعلهم كعصف مأكول لأجل إيلاف قريش، لأجل أن تبقى قريش ويحصل لها هذا الخير الذي حصل بأن تذهب إلى رحلة الشتاء ورحلة الصيف.

❖ القول الثالث: وهو الذي اختاره الإمام الطبري –رحمه الله: أنه جعل الفعل الذي تتعلق به قوله ﴿لِإِيلَافِ﴾ فعلًا مقدرًا، أي : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب البيت، اعجبوا لكون هؤلاء قد ألفوا أن يرحلوا في الصيف وفي الشتاء فيجلبوا التجارة ويحصلوا الأرزاق، واعجبوا لهم في تركهم عبادة الرب الذي أعطاهم هذه النعمة.

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾

إِيلَافِهِمْ: هذه ياء لم تكتب في الرسم، ولكنها كتبت في الضبط، فتنطق ليست "إلافهم" ؛ بل يُقال: "إيلافهم"، بياء.

إِيلَافِهِمْ: هي توكيد لقوله ﴿لِإِيلَافِ﴾ فهو يقول: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ في ماذا أو على ماذا ؟ ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ فهي بدل من ﴿لِإِيلَافِ﴾

➢ كان لقريش رحلتان:

الرحلة الأولى: رحلة الشتاء، وكانت إلى بلاد اليمن، وكانوا يجلبون من اليمن الأرزاق والمؤن والأقوات، وكان لا يتعرضهم أحد، ولا يخلفهم في بلدهم أحد من أعدائهم، بخلاف سائر القبائل، وهذه نعمة عظيمة أن يخرج المكيُّون إلى بلاد اليمن وهم آمنون على أنفسهم في رحلتهم، وآمنون على بلادهم من ورائهم.

لأن الله أمَّنهم، خصوصًا بعدما حصلت قصة الفيل عندما جاء هؤلاء إلى مكة من أجل أن يهدموا بيت الله، جاءت الطير الأبابيل فدمَّرت هذا الجيش بأكمله، فعند ذلك أذعنت العرب، وقالت: هذا بيت الله، وهؤلاء قُطَّان بيت الله، فهم آمنون لا يقربهم أحد بسوء، ولا يخلفهم أحد على بلدهم بسوء.

الرحلة الثانية : رحلة الصيف كانت إلى الشام، فقريش كانت من كل بلدٍ تأتي بالأرزاق والمؤن والأقوات، ويداولون التجارة، وبهذا أنعشهم الله وعاشوا عيشة رغيدة، وإلا فبلدهم –كما وصف الله سبحانه وتعالى: ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ ، ليس فيها زرع ولا نهر ولا شيء من الأرزاق التي يمكن أن يحيى أهلها بها، ولكن الله يسر لهم هاتين الرحلتين.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾

أي جزاء هذه النعمة يجب عليهم أن يتوجهوا بالعبادة إلى الله، لأن الله هو الذي أمَّنهم.

إذن فمقابل هذه النعمة أن يُفرد الله بالعبادة، قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، ولم يقل: "فليعبدوا هذا البيت"، فهذا البيت مخلوق، والمطلوب أن يُعبد الخالق –سبحانه وتعالى– الذي هو رب هذا البيت.

هَذَا الْبَيْتِ: والبيت المقصود به الكعبة، هذا بيت الله ونسبة هذا البيت إلى الله وإضافته إليه إضافة تشريف، لأن أي مخلوق يُضاف إلى الله فالإضافة فيها إضافة تشريف، كما قيل: ناقة الله، بيت الله، ونحو ذلك.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

رب هذا البيت يذكرهم بأنه قد صنع لهم أمرين عظيمين لا تتحق الحياة بالطمأنينة والاستقرار إلا بهما، وهما:

➢ الأمن الداخلي: بأن يُطعَم من جوع.

➢ والأمن الخارجي: بأن يأمن من الخوف.

وبدأ بالجوع لأنه لا تتم الحياة أصلًا إلا بالسلامة من الجوع، فلو أن الإنسان جاع؛ حصل له الموت القريب، يعني خلال يومين ثلاثة أو أربعة يموت.

وهاتان نعمتان عظيمتان، أن يجد الإنسان قوتًا يقيم به جسمه، وأن يأمن على نفسه وماله وولده فيعيش مطمئنًّا، فهاتان النعمتان متى تمَّتا فما وراءهما يعتبر فضلًا كما قال النبي ﷺ: ﴿مَن أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا﴾.

✸ سورة الماعون.

1) اسمها

هذه السورة تسمى بأسماء كثيرة، منها: "سورة الماعون"، وهذا أشهر الأسماء ، و" سورة أرأيت"، و"سورة التكذيب" ، و"سورة الدين" و"سورة اليتيم".

2) أين نزلت؟

الجمهور: على أنها سورة مكيَّة.

من العلماء: مَن يرى أنها مدنيَّة وذلك لأنه جاء فيها قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ وهذا النوع من البشر ما حصل إلا في المدينة.

ومن العلماء: مَن قال أن نصفها الأول نزل في مكة، ونصفها الثاني نزل في المدينة.

الذي يظهر -والله أعلم- أنها مكيَّة، ولا مانع أن يرد في السور المكيَّة ما يعالج صورًا لم تظهر ظهورًا تامًّا إلا في المدينة، ألا ترون أن سورة المدثر سورة مكيَّة بالإجماع، ومع ذلك ذُكر فيها النفاق، وذُكر فيها الذي في قلوبهم مرض، قال: ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾ والذي في قلوبهم مرض هم المنافقون ، وهذا يدلنا على أن في الآيات المكية ذكر للنفاق، لكن ليس على وجه الاستيعاب، استيعاب النفاق وذكره وفضحه جاء في السور المدنية، وجاء الإشارة إليه في بعض الآيات المكية كما في هذه السورة.

3) عدد آياتها

في العد الكوفي والبصري: سبع آيات.

في العد المدني والمكي : يرون أنها ست آيات. لأنهم يرون أن قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ آية واحدة.

4) محورها

هذه السورة في خصال الكفار التي تترتب على التكذيب بالدين.

وهناك أمر مهم جدًّا، وهو: أن من أعظم قواعد هذه الملة: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر أمانٌ من الشقاء، فالأمة التي لا تؤمن باليوم الآخر ستختلف تصرفاتها وأفعالها عن الأمة التي تؤمن بالله واليوم الآخر،لأن مَن يؤمن باليوم الآخر يؤمن بالجزاء، وأنه إن أحسن جُوزيَ بالجزاء الحسن، وإن أساء جُوزيَ بالجزاء السيء، فهو دائمًا يترقب الآخرة ويخاف أن يصل إلى العذاب فيها.

أما مَن لم يؤمن باليوم الآخر لا شك أنه يقول: ما دامت هذه هي الدنيا؛ إذن فلأتنعَّم فيها بأيِّ صورة، لماذا تذهب عليَّ الَّذَّة؟ لماذا فلان يتلذَّذ ويتنعَّم ويكون عنده الأموال الكثيرة وأنا ليس عندي شيء؟ فلأسرق، فلأعتدي عليه، فلأظلم.

إذن الحجاب بين الإنسان وبين سوء الحياة هو إيمانه باليوم الآخر ، ولذلك جاء في هذه السورة ما يدل على هذا المعنى بشكلٍ واضح.

✸ تفسير الآيات:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾

أي يكذِّب بالجزاء الأخروي، والبعث والنشور والجنَّة والنار؟

أَرَأَيْتَ: أعلمت وعرفت.

الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ: أي يكذب بيوم القيامة.

الدين غالبًا يُطلق في القرآن على الجزاء والحساب، ومنه قولهم: "كما تدين تدان".ومنه قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي مالك يوم الجزاء والحساب.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾

فَذَلِكَ: "ذلك" اسم إشارة للبعيد ، وذلك لبعده عن الله، وبعده عن الأخلاق الطيبة والأعمال الصالحة.

يَدُعُّ الْيَتِيمَ: دعُّ اليتيم هو دفعه.

من المفسرين مَن حملها على ظاهر لفظها، قال: الذي يدفع اليتيم ، ومنهم مَن فسَّرها بمعناها قال: الذي يظلمه ويقهره.

وكلا التفسيرين لا تعارض بينهما ، والدَّعُّ يصلح بهذا وبهذا، فمن دفع اليتيم دفعًا بيديه فقد ظلمه، ومَن منعه حقَّه سواءً كان الحق له أصلًا كمالـه الـذي ورثه من أبيه أو كان حقًّا له أوجبه الله في أموال الناس، كأن يكون مستحقًّا للزكاة، مستحق للعطف والرحمة، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، يدخل فيه.

وقد كان في العرب قبل الإسلام ظلم للأيتام لكونهم صغارًا لا يحسنون أن يرعوا أموالهم، ولا أن يدفعوا الشر عنه، فكان الكبير في العائلة يحرمهم من حقوقهم ويستولي على تركتهم ويقهر هؤلاء الأيتام، ويقهر الضعفاء أيضًا من النساء؛ فلا يرثون مع ذلك الكبير شيئًا.

الْيَتِيمَ: في الشرع هو مَن مات أبوه قبل البلوغ، بخلاف مَن ماتت أمه فإنه لا يسمَّى يتيمًا.

قال العلماء: وهذا بخلاف الحيوان، فالحيوان يسمى يتيمًا إذا ماتت أمه، والإنسان يسمى يتيمًا إذا مات أبوه، ولكن ليس كل مَن مات أبوه يسمى يتيمًا؛ بل لابد أن يكون ذلك قبل البلوغ، لأنه إذا بلغ أصبح رجلًا مستقلًّا يدفع الضيم والشر عن نفسه وعن ماله.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾

أيضًا من صفات هذا الذي يكذب بالدين أنه لا يحضُّ على طعام المسكين،لأنه يقول أن هذا المسكين إنما صار مسكينًا بفعل الله وبقدره، أفأنـا أسـتدرك على الله في قدره؟ ، كما قال الله عنهم في سورة يس ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾، هذا المسكين لو شاء الله أطعمـه، إذن فلماذا نحن نطعمه؟ إن شاء الله أطعمه وإن شاء تركه.

وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ: أي لا يحضُّ غيره على إطعام المسكين.

الْمِسْكِينِ: هو الذي ظهرت عليه المسكنة بسبب الفقر، لأن مسكين مأخوذ من المسكنة وهي الذِّلة التي تحصل لهذا الفقير بسبب قلَّة ذات يده.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾

وهذا يدل على أنهم يصلون.إذن ليسوا تاركين للصلاة، ولكنه بيَّن أن عندهم وصفا آخر في هذه الصلاة، قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

ومن هنا اختلف العلماء: هل معنى قوله ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أنهم لا يصلون بالكلية ؟ أو أنهـم يصـلون لكـن بعـد أن يؤخروا الصلاة عن وقتها؟ أو أنهم يصلون لكنهم يفرطون عندما يؤدُّون هذه الصلاة؟ ، فهم يؤدنوها كيفما اتفق بقصدٍ لا بسهوٍ يجثم عليهم أو يصيبهم من دون اختيارهم كما يحصل عنا في صلاتنا، فنحن نصلي ونسهوا في الصلاة، فـنحن لا نـدخل في هـذه الآيـة ، لأنـه لم يقـل: "الـذين هـم في صـلاتهم ساهون"؛ وإنما قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

وبهذا يكون المعنى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي يؤخرنها عن وقتها، أو أنهم لا يبالون بها أصلًا، كما قال الله عـن المنـافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾

وصفهم الله –سبحانه وتعالى– بوصف عجيب وهو أنهم يراؤون، بمعنى أنهم إذا قاموا بشيء من العمل أو من العبادة أومن الطاعة فعلوه رياءً.

ومعنى الرياء: أن يطلب الإنسان رؤية الناس، فهو لا يريد من عمله إلا نظر الناس إليه.

وعندنا شيئان:

الأول: الرياء: أن تطلب رؤية الناس

الثاني:السمعة: أن تطلب سماع الناس، يعني قد لا يروك ولكن تُسمِّع، تقول: أنا فعلت، وفعلت ،﴿ومَن راءى راءى الله به، ومَن سمَّع سمَّع الله به﴾

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ: كما وصف الله المنافقين قال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، يعني لا يقومون إلى

الصلاة إلا من أجل أن يطلبوا رؤية الخلق لهم –والعياذ بالله.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

أيضًا من صفاتهم أنهم يمنعون الماعون ، وقد اختلف في الماعون ما هو:

❖ القول الأول: الماعون هو المال، يمنعون المال، يعني يمنعون الزكاة ويمنعون أداء حق الله –عز وجل.

❖ القول الثاني: الماعون هو: كل ما تملكه وله منفعة، فهم يمنعون منفعة الأشياء التي بأيديهم، مثل أن تمنع منفعة القلم، ومنفعة الإناء، والقدر، منفعة السيارة، كل ما يُعار ويُوهَب مما يأخذ الناس منه منفعة ويبقى أصله، فهم يمنعون منفعتها لغيرهم، وهذا هو الأظهر.

وإذا كانوا يمنعون ذلك فهم يمنعون ما أوجب الله عليهم من باب أولى من أداء حق الله –عز وجل– كالزكاة ونحو ذلك مما أمرهم الله –سبحانه وتعالى– أن يؤدوه للفقراء والمساكين، فهم يمنعون المنفعة، ويمنعون ما هو أعظم وأشد، وهو الزكاة وما أمرهم الله –سبحانه وتعالى– أن يؤدُّوه.

ومن هنا قال العلماء: أنه يحرم على الإنسان أن يمنع أخاه المسلم أن ينتفع بشيء من أدواته وأشيائه إذا كان مستغنيًا عنها.

مثلا: إنسان قال: لو سمحت أريد هذا الكأس لأشرب به، ما يجوز لك أن تمنعه ما دمت غير محتاج له فيجب عليك أن تمنح لأخيك لينتفع به ثم يرده إليك ، وهذا يكون مع أمن ردِّه، فإذا لم يأمن الإنسان أن يُردّ فلا يجب عليه هذا الأمر.

إذن هذه هي الخصال التي تنتج عن التكذيب بيوم الدين، وهذا ما نشاهده من الكفار في كل مكان، فالكفار عادة تجدهم لأنهم يكذبون بالدين ويكذبون بالجزاء والحساب وباليوم الآخر؛ تحصل منهم هذه المنكرات شيئًا طبيعيًّا، لأنه لا يرجو إلا الدنيا، ويريد أن يتمتع بها، فكل ما يحصل من متاع الدنيا يصرف على شهواته.

سؤال1:

إذا توفرت خصلة واحدة من هذه الخصال في رجل؛ هل يُطلق عليه أنه مكذب بالدين؟

الجواب

لا، هي ليست عكسية، المُكذِّب تحصل منه هذه، ولكن ليس كل مَن حصل منه شيء منها كان مكذبًا بيوم الدين، قديكون وقد لا يكون، فقد يوجد إنسان يمنع الماعون ولا يعطي متاعه لأحد ما وهو مصدق بيوم الدين، لكن يغلبه البخل والشحّ.

سؤال2:

لما أخِّرت الصلاة ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾، بعد دعِّ اليتيم وبعد إطعام المساكين، لِمَ أُخِّرت مع أنها الأولى أن تُقدَّم؟.

الجواب

دعِّ اليتيم والحض على طعام المسكين أمر مشترك بين البشرية كلها، ولذلك بدأ بأعمال الكفار التي هي عدم الحض على طعام المسكين دعِّ اليتيم، ثم انتقل إلى الصنف الآخر الذي يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر، وهم الذين وصفهم بوصف النفاق.

والإسلام عندما يحض على الأعمال الطيبة، يؤثر الأشياء التي يكون فيها نفع للآخرين وفيها رحمة بالخلق، وهذا يدلنا على أن من أعظم مكاسب الإيمان باليوم الآخر: اكتساب الرحمة، فالذي يمنعك من الظلم ويحملك على رحمة العباد هو علمك بان الله يجازيك ويحاسبك على كل أمرٍ من الأمور.

✹ سورة الكوثر

1) اسمها:

سورة الكوثر ، وتسمى "إنا أعطيناك الكوثر"، وتسمى " سورة النحر".

2) أين نزلت؟

هذه السورة اختُلف فيها هل نزلت في مكة أو في المدينة؟.

لأن بعض الروايات التي جاءت تدل على أنها نزلت في المدينة، لأن النبيﷺ قال: ﴿أنزلت علي آنفًا سورة "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ"، أتدرون ما الكوثر؟ نهر أعطانيه الله﴾، وهذا الحديث يرويه أنس بن مالك.

أكثر العلماء: على أنها نزلت بمكة، وأنه عندما قال النبي ﷺ ذلك لأصحابه في المدينة أنه ما أراد أنها نزلت عليه ولم تنزل عليه من قبل وإنه أراد أن يُبيِّن لهم معناها.

3) عدد آياتها

ثلاث آيات بلا إشكال.

4) محورها

حول ما أعطى الله رسوله، وما خصَّه به، وماذا يجب عليه أمام هذه النعمة التي أعطاه إياها، وماذا أعدَّ الله وادَّخر لأولئك الذي سبُّوا رسول الله ﷺ وشتموه.

5) مناسبتها لسورة الماعون

سورة الماعون جاءت في أولئك الذين يكذبون بالدين وأنهم يدعُّون اليتيم، لا يحضون على طعام المسكين، يمنعون الماعون.و هنا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، اعبد الله -سبحانه وتعالى- وانحر له، وانفع عباده.

✸ تفسير الآيات

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾:

إِنَّا: صيغة التعظيم ، جاءت لرسول الله ﷺ ليدل على أن هناك شيئًا عظيمًا سيؤتاه رسول الله ﷺ.

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ: الكوثر يقولون: على وزن فَوْعَل، والكوثر هو الخير الكثير عند العرب

وقد اختلف المفسرون فيه، هل هو بمعنى الخير الكثير أو نهر أعطاه الله لنبيه محمد ﷺ ؟

والصحيح أنه لا تعارض بين التفسيرين، فهوفي اللغة بمعنى الخير الكثير، والنبي ﷺ بيَّن أنه قد أعطي هذا الكوثر الذي هو نهر في الدار الآخرة، فهو من الخير الكثير الذي أعطيه رسول الله ﷺ.

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ: أعطيناك الخير الكثير الذي منه ذلك النهر الذي أوتيته في الجنة.

وقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الحوض من الكوثر، وأن الكوثر نهر أعطاه الله لنبيه محمد ﷺ في الجنة، فالحوض يُطلق عليه كوثر،والنهر الذي في الجنة يُطلق عليه كوثر، وهما من الخير الكثير الذي أعطيه محمد ﷺ.

وبهذا يكون بعضهم فسَّر بالمعنى اللغوي العام الشامل، وبعضهم فسَّر بما ورد في لفظ الحديث من أن الكوثر نهرٌ أعطيه النبي ﷺ.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾

قاعدة مطردة: كلما يُذكر عطاء لرسول الله ونعمة فإنه يُطلب منه في مقابلها شكر.

ولهذا يقول العلماء: كلما فتح الله لك نعمة ينبغي لك أن تفتح باب شكر، أنت اليوم تعلمت شيئًا من العلم ينبغي لك أن تشكر الله بلونٍ من الشكر، أُعطيتَ مالًا، حصلت على هديَّة أو هبة هذا اليوم؛ اشكر الله، امنح شيئًا من هذه الهدية لفقير أو يتيم اومسكين أوقريب أو محتاج.

فَصَلِّ: لم يُبيِّن أيَّ صلاة.

من العلماء مَن قال: أن القصود بها صلاة عيد الأضحى، ولكن اللفظ عام يشمل عيد الأضحى ويشمل غيره من الصلوات.

فالمقصود: صلِّ لربك ولا تصلِّ لأحد غيره.

وَانْحَرْ: اختلف المفسرون في معناها:

جمهور المفسرين: على أن معناها: انحر، يعني اذبح، النحر يُطلق على ذبح الإبل، يسمى نحرًا.

منهم مَن قال: "انحر" أي اجعل يدك اليمنى على يدك اليسرى على صدرك.

منهم مَن قال: "انحر" يعني ارفع يديك حذاء نحرك عند الصلاة.

والصحيح هو القول الأول لأنه الأقرب إلى المعنى اللغوي، وهي قريبة من قول الله في سورة الأنعام ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فجمع بين الصلاة والنسك.

واختير النحر من بين عبادات كثيرة لأنه يتحقق به مظهر من مظاهر التوحيد، فالصلاة مظهر من مظاهر التوحيد، والنحر مظهر آخر من مظاهر التوحيد، لأن الإنسان ينحر فيقول: بسم الله أذبح هذه الذبيحة قاصدًا اسم الله -سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

شَانِئَكَ: أي مبغضك وكارهك وسابَّك وشاتمك هو الأبتر.

وقد قيل أن هذه الآية نزلت للرد على أولئك الذين كانوا يعيرون رسول الله ﷺ بأنه أبتر، يعني لا يبقى له ولد، فكانوا يعيِّرونه بالمبتور أو الأبتر، فبيَّن الله -سبحانه وتعالى- أن كل مَن شتمه وآذاه وأبغضه هو الأبتر.

هُوَ الْأَبْتَرُ: المقطوع ذكره، والمقطوع عنه الخير في الدنيا وفي الآخرة.

✹ سورة الكافرون

1) اسمها:

تسمى "سورة الكافرون"، وتسمى "سورة الإخلاص"، لأنها أخلصت العبادة لله -عز وجل.

2) فضلها:

هذه السورة سورة عظيمة تُشرع قراءتها في الركعة الأولى من سنة الفجر، وأيضًا في صلاة الشفع قبل الوتر يقرأ الإنسان سبح اسم ربك الأعلى في الركعة الأولى وقل يا أيها الكفرون في الركعة الثانية وقل هو الله أحد في ركعة الوتر، لأنها سورة من سور الإخلاص، مَن قرأها مؤمنًا بها فكأنما أعلن لله -عز وجل- أنه لا يعبد أحدًا سواه، فهو يعلن التوحيد لله -عز وجل.

ولذلك تسمى هي مع سورة قل هو الله أحد: سورتي الإخلاص، سورة الكافرون في الإخلاص العملي والأخرى في الإخلاص المعرفي العلمي

وهذه السورة تُقرأ أيضًا عند النوم، وتقرأ أيضًا في ركعتي الطواف، تقرأ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

3) عدد آياتها:

ستُّ آيات بالإجماع

4) أين نزلت ؟

سورة مكية بالإجماع

5) سبب نزولها:

قيل إن سبب نزولها أن المشركين لما يئسوا من رسول الله ﷺ أن يتنازل عن دعوته قالوا له: يا محمد، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، يعني حل وسط، وما علموا أن هذا الحل الوسط في نظرهم لا يمكن أن يكون حلًّا وسطا في الإسلام، لأنه عدول عن الحق ، كيف أعبد آلهتكم سنة؟ لو عبدتُّ آلهتكم

ثانية واحدة لكنت من المشركين، لأن التوحيد لا يقبل أن يُخلط معه جزيئ من جزيئات الشرك

فلو أن إنسانًا سجد لله طول عمر وقال: أنا سأجعل ثانية واحدة للصنم؛ لكن مشركًا.

وقال النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عن ربه: ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه﴾، وفي رواية: ﴿فهو للذي أشرك، وليس لي منه شيء﴾.

✸ تفسير الآيات:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾

قُلْ: قل يا محمد.

وأي سورة أو آية تبدأ بـ "قل" ؛ فاعلم أنها آية مهمَّة وعظيمة، كما تقول عندما تُحمِّل إنسان رسالة تقول له: قل لهم كذا وكذا ، و تؤكِّد بكلمة "قل" لتبيِّن عظمة الرسالة والمحتوى الذي تريد أن ينقله الرسول.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، أي ما دمتم على كفركم ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾

اشكال

كيف يقول الله –عز وجل– ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾؟ وهؤلاء منهم مَن أسلم فعبد الله ؟

الجواب

ما داموا على كفرهم لا يمكن أن يعبدوا ما يعبده رسول الله ﷺ ، أما إن آمنوا فلا يتوجه الخطاب أصلًا إليهم، لا يُقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فأنت أيها الكافر لا يمكن أن تعبد الله، قد يقول: أنا يمكن يوم من الأيام أسلم؟ ، قلنا: إذا أسلمت ما أصبحتَ كافرًا، فما دمت على كفرك لا يمكن أن تعبد الله حتى لو سجدت لله، ولم تسجد للصنم؛ أنت كافر، لأنك ما أقررت لله –عز وجل– بالتوحيد.

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

أولًا: هذا التكرار للتأكيد أنه لا يمكن أن يجتمع التوحيد والشرك في قلب، وأن المفاصلة قائمة بين الموحد والمشرك، فالموحِّد هو الذي يقرّ لله بالعبودية.

فهذا التأكيد الذي في هاته الآيات يدلنا على عظمة التوحيد .

ثانيا: يأتي هنا المعنى ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي في الحاضر والمستقبل، لا أعبد في هذا الوقت ما تعبدونه ولا أنتم عابدون في هذا الوقت ما أعبد، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾، أي ولا أنا عابد فيما مضى من الزمن أنا لستُ عابدًا لآلهتكم، ولا أنتم فيما مضى من زمنكم عابدون ما أعبد.

فالأوليان في الحاضر والمستقبل،والأخريان في الماضي الذي قبل هذا الوقت، وهذا كله من اجل التأكيد، ولذلك اختلف العلماء:

منهم مَن قال: الأوليان للماضي، والأخريان للحاضر والمستقبل.

ومنهم مَن قال: العكس. وهذا هو الذي رجَّحه شيخ الإسلام بن تيميَّة.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾:

لا يمكن أن يجتمع الدينان، دين الكفر ودين الإيمان والتوحيد لا يمكن أن يجتمعا، وهذه فيها أعظم الرَّد على الذي ينادون بوحدة الأديان، وأن أنتم يا مسلمين ويا نصارى ويا يهود ويا مشركين كلكم طيبين وكلكم تدخلون الجنة، وما في أحد كافر، وما في أحد يسبَّ الآخر، ولا يفاصل الآخر أو يلغي الآخر؛ لا، مَن ترك الحق فهو ملغى، فنحن نقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، دين الحق لا يجتمع مع دين الباطل أبدًا.